وسنرى كيف لعبت بعض هذه التغيرات دوراً هاماً؛ وذلك كعوامل ساعدت على ظهور الحركة العمالية العربية وبلورتها ودفعها إلى الأمام.

مما تقدم، يبدو من المنطقي التأكيد على استنتاج هام يتعلق بمحاولة البحث في أوضاع الحركة العمالية الفلسطينية وتشكلها، وهو أن هذه الحركة لم تخرج من الفراغ عندما ظهرت بأشكالها المختلفة بعد الاحتلال البريطاني. كما أن البداية الحقيقية لظهور هذه الحركة لم تكن، فقط، عندما ظهرت على شكل منظمات عمالية في تلك الفترة؛ بل ان ظهور هذه المنظمات كان نتيجة طبيعية للتطورات المختلفة التي شهدها المجتمع الفلسطيني قبل ذلك. وقد جاء الاحتلال البريطاني لفلسطين ليفجر الامكانيات الحقيقية لظهور هذه الحركة، ولظهور الطبقة العاملة الفلسطينية، موضوعياً، قبل ذلك. وينطبق على هذه الحالة، تماماً، ما ذكره الدكتور ماهر الشريف من «ان وجود الطبقة العاملة الموضوعي يسبق، تاريخياً، وجودها الذاتي. وان الطبقة العاملة القائمة، موضوعياً، لا تظهر كطبقة فعلاً على المسرح الاجتماعي إلا بعد أن تعي ذاتها»، أي «اكتشافها لذاتها والتعبير عن هذه الذات على شكل منظمات سياسية ونقابية»[1]. ويعني هذا أننا لن نستطيع تبيّن الأشكال العملية، أو المادية، لهذا الوجود إلا من خلال هذه المنظمات، ولذلك يبقى تشكيلها مهماً جداً باعتباره المظهر المادي لوجود الطبقة العاملة وبداية نضالها السياسي والمطلبي. إلا أن عدم تشكيل هذه المنظمات، في مرحلة من المراحل، لا يعني أن الطبقة العاملة بذاتها غير موجودة، موضوعياً، وان هذه الطبقة فاقدة للتوجهات الطبقية والنزعات المطلبية، وغير قادرة على تلمس القهر الطبقي ومواجهته.

لقد تزامن الانتداب البريطاني لفلسطين، بخطواته المختلفة، مع بداية ظهور المنظمات النقابية العربية. وإن كانت هذه البداية قد تبلورت على شكل تعاوني وخيري، وعلى شكل مساهمة العمال العرب في العمل النقابي، من خلال المنظمات النقابية اليهودية القائمة، فهل يعني ذلك أن الاحتلال البريطاني كان السبب في ظهور الحركة العمالية العربية في فلسطين؟ إن المقولة السابقة المتعلقة بتأخر الوجود الذاتي للطبقة العاملة ومنظماتها عن الوجود الموضوعي، تؤكد أن الاحتلال البريطاني لفلسطين كان السبب في إحداث تغييرات موضوعية في الواقع الفلسطيني أدت إلى ظهور الوجود الذاتي، أو المادي، للطبقة العاملة العربية في فلسطين ولحركتها العمالية، أو ساعدت على ذلك. وهو بذلك كان عاملاً من العوامل ليس إلا، «ولكنه عامل هام» في ظهور هذه الحركة. ويعني هذا بالضرورة، أن هناك عوامل مختلفة أُخرى، إضافةً لهذا العامل، ساعدت على نشوء الطبقة العاملة العربية، وعلى ظهور الحركة العمالية العربية. ويقودنا البحث في هذه القضية إلى الاستشهاد بعملية ظهور التنظيم السياسي للطبقة العاملة العربية في فلسطين، لأن محاولة معرفة كيفية ظهور هذا التنظيم، والمراحل المختلفة التي مر بها قبل تبلوره بشكله النهائي، كطرف أساسي من أطراف الحركة الوطنية العربية، يؤدي إلى النتائج والاستنتاجات نفسها التي نتجت عن المقولات السابقة.